محمد فخر الكائنات

المقدمة

((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ;وَيَسّرْ لي أَمْري; َواحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ;يَفْقَهُوا قَوْلِي)).

الخطاب أداة توصيل تتولى نقل المضامين الفكرية، والسياسية، والمشاعرية من المعطي (الخطيب) إلى المتلقي (المخاطَب)، وما من حركة سياسية، أو ثورة جماهيرية، أو دولة قوية إلا ولها خطيب يتولى طرح أهدافها، وتحديد آليات تحقيقها ويحذر من الأخطار المحدقة بها.
لحظة الخطاب هي لحظة الكلام التي تمنح المعطي قوة التأثير في المتلقي، ومَلَكة النفوذ إلى عمقه، ويشعر معها أنه بقدر ما ينطلق من عمقه كخطيب سينفذ إلى عمق المتلقي كمخاطَب، ولا يتأتّى له ذلك ما لم يتمتع بوعي مركب، وعي المبادئ التي يدعو لها.. الواقع الذي يحيط بشعبه.. المخاطر المحدقة به.. الطموحات التي يتطلع إلى تحقيقها، والبرامج التي تتكفل بإحداث النقلة النوعية المنشودة، وكذلك وعي البنيوية الخطابية التي تمتزج فيها مفردات اللغة بدقة المفاهيم، وصدق المشاعر باتجاه التقارب الجادّ لأحاسيس الناس.
العطاء والأخذ كمادة للتداول، والمعطي والمتلقي كأطراف للتداول، لا يُشكّل ذلك بقرار، أي حين يجالس الإنسان مَن هو أكثر منه ثقافة وأسبق تربية، لاشك أنه أمام واقع التلقي، إذ لا يوجد مُعطٍ مطلق ودائم ومُتلقٍ مطلق ودائم؛ لأننا لسنا معصومين أو ملائكة، إنما هي نسبية تحكم الطرفين..

هذه الخطب أفرزتها معاناة مستوحاة من عذابات إنسان العراق والعالم، وصاغتها طموحات الإنسان ذاته، وحددت اتجاهها إرادة الإنسان المعطي؛ لذا كانت مرتجلة دونما تحضير مسبق أو زخرفة متكلفة تظهر فيها الصنعة الكتابية وهذا هو ديدن الدكتور ابراهيم الجعفري في كل خطبه.

مؤسسة الكتاب الثقافية

محمد فخر الكائنات

كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري في مجلس النواب بمناسبة المولد النبوي الشريف 2001/2/16

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:
((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)).

جنحت أمم العالم وشعوبه أن تذهب ذات اليمين وذات الشمال بشكل متطرف، فهناك من غلّب الروح على المادة في أقصى الذي غلّب المادة على الروح، فمن اتجه اتجاهاً روحياً تجريدياً مثل (جان بول سارتر)، وسواه، وبعض الذين ترهبنوا، وهناك من غطسوا في المادة إلى الحد الذي فسّروا فيه العالم تفسيراً مادياً محضاً، ويقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال هذه الآية القرآنية الكريمة:
((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)).

الشهادة على الناس ليست كالشهادة من الناس، هناك من علياء الفكر، وعلياء القيم يطل الإنسان باعتداله ووسطيته ليشهد من يتطرف بالاتجاه إلى الروح التجريدية، ويلغي المادة، أو ينغمس بالمادة ضد الروح، كما إن هناك تطرفاً آخر بين من يغلّب العقل في الحياة، ويجمّد العاطفة أو من يفعّل العاطفة، ويجمّد العقل نجد أن الإسلام العظيم يمزج وسطياً بين العقل والعاطفة، وعقلنة العاطفة والابتعاد عن شهونة العقل، ويجعل الإنسان الخليفة الحقيقي لله - تبارك وتعالى - في وجوده، ويتمثل سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ يقول:
(وهل الدين إلا الحب).

ما نفى الحب عن حياة الإنسان، الحب الذي كان ينبض بكل حياته، وهناك من يتطرف، ويتجرد، ويذهب إلى الغيب، ويلغي الدنيا من حياته متشبثاً على أساس أنه غيبي، وأنه يؤمن بالآخرة، وهناك من يلغي الآخرة كما هي العلمانية الإلحادية منذ زمن سابول وميكافيلي جردت، وألحدت وليست كالعلمانية الحديثة التي اعتدلت نسبياً على الرغم مما لديّ عليها من تحفظات.

الوسطية تعني أن تقف في جادة الوسط، وتبتعد عن التطرف، وتكون متوازناً بين الفرد والجماعة، ولا تذهب إلى تذويب الفرد في الجماعة، كما ذهبت الماركسية، ولا باختزال المجاميع كلها في ذات الدكتاتوريات التي بدت تترنح، وتسقط واحدة تلو الأخرى.. هذه الحالة تجعل الإنسان الوسطي إنساناً مفعماً بالفكر ومقروناً

بالعاطفة، ويحوّل الحياة من حوله إلى حالة بناء يخطاب القلب قبل أن يخاطب العقل:
((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فضًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)).

يبدأ بفتح بوابة القلب بالقيم والحب والأخلاق بعد ذلك يفتح العقل بالاستدلال.. هكذا كان رسول الله (صلى لله عليه وآله وسلم)، في وسطيته، كان كلما بدت عظمته أمام الآخرين بدت إلى جانبه علامات التواضع على شخص الكريم، حتى إن امرأة قالت له: يا رسول الله كل شيء فيك جميل إلا مجلسك لأنه مجلس عبيد؛ فقال لها:
(ويحك يا أمة الله، ومن أعبد مني إلى الله).

كان متوازناً ووسطياً يتعامل مع الفرد، ويتعامل مع الجماعة، ويحكم العقل، ويحفظ للقلب عاطفته، ويرعى زوجه، ويرعى أولاده، ويرعى ابنته، ويرعى العالم كله من حوله، أبى إلا أن يمتد إلى الآخر الزماني والآخر في الدين الثاني، وكل الإنسانية؛ لذا تحوّل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مشعل تتنور منه البشرية كلها؛ فبعث للناس كافة، ومن أراد أن يحيي سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه أن يتحلى بأخلاق رسول الله، ويتأسى بسيرته، وهذا هو الفرق بين الأسوة والقدوة، القدوة قد يُختزَل بصفة أو صفتين أو بمقطع زمني لكن الآية القرآنية تقول:
((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)).

والأسوة تمتد إلى كل مجالات الحياة من دون استثناء، صلى الله عليك يا مولاي يا رسول الله، ونسأل الله (سبحانه وتعالى)، أن يجعلنا من المتأسين والمتخلقين بأخلاقك، وأن نحوّل هذه الأخلاق إلى مفاعلات سلوكية؛ حتى نغمر كل من حولنا بأخلاق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.